يغادر مُخلفا تركة مكونة من الدمار بسبب نظرياته الاستراتيجية الخاطئة ضد الفلسطينيين والعالم العربي

موفاز منح مشعل براهين على أن حماس تستطيع انتزاع ما لم تنجح به السلطة

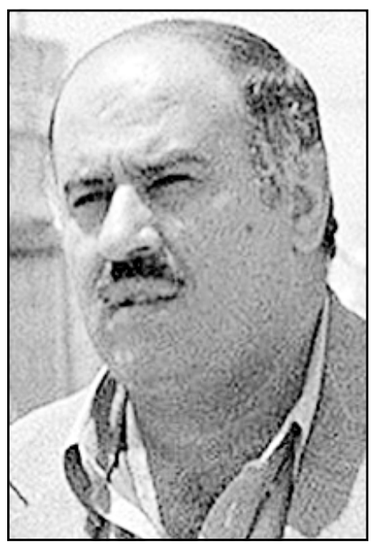

جبريل الرجوب

خالد مشعل

شاؤول موفاز

■ حسب نتائج الاختبارات التي أجراها وزير الدفاع المغادر، الفريق احتياط شاؤول موفاز، يتبين أن المدني عمير بيرتس يدخل الى حذاء صغير جدا. موفاز زرع رياحا مستطيرة خلفها للحكومة القادمة وليس فقط لوزير الدفاع الجديد. هو يترك من ورائه دمارا وخرابا. من وراء موفاز ستبقى الأضرار الفادحة لنظريتين استراتيجيتين خاطئتين تبناهما بصدد اسرائيل والشرق الاوسط كله. كلا النظريتين نسبتا لقادة عرب ذوي قوة عسكرية محدودة جدا، نوايا حقيقية لتصفية دولة اسرائيل. وكلا النظريتين كانتا ثمرة تفكير عاموس جلعاد التضليلي عندما كان رئيسا للطاقم السياسي ـ الأمني في وزارة الدفاع، واللتين تبناهما موفاز من دون تحفظات.

فشل النظرية الاولى حول سلاح الابادة الجماعية في العراق تكشف بكامل خطورته على يد لجنة شتاينيتس. تقدير جلعاد ـ موفاز بأن الاجتياح الامريكي للعراق سيُحسن وضع اسرائيل الاستراتيجي، يتناقض مع العلاقة المتعززة بين الحكم الشيعي في العراق والجارة الايرانية. النظرية الثانية كانت أن ياسر عرفات قد دخل عملية اوسلو وبادر الى الانتفاضة الثانية حتى يقيم «فلسطين الكاملة»، التي تشمل اسرائيل والاردن. هذه الفرضية النظرية حول الفلسطينيين دفعت بجهاز الدفاع الى تبني نهج جبروتي أحادي البُعد وقصير النظر.

مجموعة هامة في الأذرع الاستخبارية والتي تشمل كبار المسؤولين في شعبة الاستخبارات العسكرية (عاموس مالكا وافرايم لافي)، وفي «الشاباك» (آفي ديختر ويوفال ديسكن وماتي شتينبرغ)، وفي الموساد (يوسي بن آري)، مزقت هذه النظرية الى فتات. بعضهم قام بذلك في اللحظة الحاسمة، والبعض الآخر في وقت متأخر. موفاز وجلعاد حرصا على إسكات صوتيهما. لكن ذلك لا يعتبر عزاء لعشرات آلاف الضحايا الأبرياء في المصادمات العسكرية التي تمخضت عن 1200 قتيل اسرائيلي. اطفال الانتفاضة الثالثة الوشيكة لن يأتوا الى عالم أفضل.

«نشوة عسكرتارية» كارل مريه فون كلاوزبيتس، من آباء نظرية القتال الحديثة، ادعى أن الحرب هي امتداد للسياسات الوطنية بوسائل اخرى. نجاح الحرب يُقاس في هامش المناورة الذي يمنحه للمستوى السياسي حتى يتمكن من ترجمة انتصاره العسكري الى تسوية سياسية لا تقل عن درجة الأمن التي توفرها للمواطنين. الفوضى في قطاع غزة والضفة والعمليات في العراق واسرائيل تبرهن على أن التفوق العسكري ليس ضمانة للانجاز السياسي، ولا حتى وسيلة مضمونة للحصول على الأمن. الانسحاب أحادي الجانب من غزة و«خطة الانطواء» أحادية الجانب في الضفة والجدار الفاصل وانتصار حماس إثر القطيعة بين اسرائيل والسلطة الفلسطينية ـ كل سبب لوحده، وكلها مجتمعة ـ تعتبر دلالة على أن سنوات المجابهة العسكرية الست قد قلصت هامش المناورة المتاح للمستوى السياسي في اسرائيل الى نقطة الحضيض التي لم نشهد لها مثيلا منذ فرضية يوم الغفران، سيئة الصيت.

مع مرور عامين على المجابهة، تماما في الايام التي حطم فيها موفاز ذروة الوثب الى الأعلى ـ من الجيش الى السياسة ـ وضعت الاجهزة الاستخبارية على طاولته وثيقة كان يتوجب اعتبارها ردا تفصيليا على كل الاسئلة المطروحة. خالد مشعل كتب في مجلة حماس «فلسطين المسلمة» في عددها المكرس لدراسة استخلاصات الانتفاضة، بأن «المرحلة الحالية هي محاولة لانتزاع المكاسب من العدو.. استنزاف يهدف الى دفع الصهاينة الى التشكيك في مستقبلهم». مشعل أضاف بأن الصهاينة والامريكيين يقترحون على الفلسطينيين الاختيار بين الموت بالاستسلام أو بين الموت بطرق اخرى، أي، بطريقة محترمة. وعليه، يقول «الانتفاضة والمقاومة هما خيار لا مناص منه».

الهدف السياسي القريب المحدد حسب الكُتاب في «فلسطين المسلمة»، هو الوصول الى نموذج الانسحاب الاسرائيلي من جنوب لبنان. هدفهم هو اقناع الجمهور في اسرائيل، كما حدث في لبنان، من خلال الانتفاضة، بأن الأمن الصهيوني هو في نفس المقياس مع هذا الانسحاب أحادي الجانب.

رئيس هيئة الاركان ووزير الدفاع موفاز منح مشعل جملة من البراهين المنظمة على أن حماس تستطيع بالفعل انتزاع ما لم تنجح به السلطة من اسرائيل بالوسائل العسكرية (وليس السياسية كما سعت السلطة). «العنوان الأبرز كان قرار المس بجبريل الرجوب»، يقول الدكتور ماتي شتينبرغ، الذي كان في تلك الايام مستشارا خاصا لرئيس «الشاباك» للشؤون الفلسطينية، «جهاز جبريل الأمني لم يطلق النار علينا، ولم يتحرك ضدنا، ولم يستخدم سياسة البوابة المستديرة». ضابط كبير كان في تلك الايام مطلعا على مجريات الأمور أطلق على ذلك اسم «نشوة العسكرتارية» التي أفضت في نهاية المطاف الى فشل ثلاث مرات في امتحانات الضباط. في جيش الدفاع اعتادوا على تسمية ذلك «متلازمة الكُندرجي» ـ كل مشكلة يمكن حلها بواسطة المطرقة. اذا كانت المطرقة ذات النصف طن لا تحل المشكلة، فيجب الانتقال الى مطرقة من فئة الطن. في نهاية 2001 عندما سعت حكومة باراك لتبني مشروع كلينتون على أمل العودة الى مسار المفاوضات، ادعى رئيس هيئة الاركان موفاز أن المستوى السياسي يحيط أمن الدولة بالخطر.

بن عامي كتب بأن موفاز قد تجاهل أن بديل الاتفاق، حتى إن كان اتفاقا غير مرض لكل التطلعات الأمنية الاسرائيلية، هو شعب فلسطيني منتفض وغاضب وارهاب جامح وعودة الى نظام الاحتلال والعزلة الدولية والتأجج في العالمين العربي والاسلامي. تنبأ من دون أن يعرف ما الذي تنبأ به. سيطرة حماس على المناطق نجحت في الجسر بين الشيعة الايرانيين والسنة من الاخوان المسلمين وصولا الى وضع الاصولية المعولمة للصراع بصورة مفتخرة.

البدلة وربطة العنق لم يُغيرا من نمط تفكير موفاز. من قبل أن يدرك أن اريئيل شارون لن يتحمل وزير دفاع عاصياً، عارض خطة فك الارتباط بشدة. في هذه المرة كان البديل الوحيد الذي اقترحه موفاز المعارض هو المزيد من الاغلاقات والحواجز. منذ الانسحاب وموفاز يبذل قصارى جهده لاحباط امكانية قيام السلطة بقيادة أبو مازن من اجل طرح فك الارتباط كجزء من عملية سياسية منسقة مع اسرائيل. جلعاد كان في هذه المرة مدير عمل رئيسي لمقاول الهدم. موفاز وجلعاد قاما باغلاق المعابر بين القطاع واسرائيل بذرائع أمنية مريبة في بعضها، وعزلا القطاع كليا عن الضفة. حماس احتفلت في هذه المرة ايضا بفشل أنصار الاتفاقات وضحك أتباعها خلال كل الطريق الى صناديق الاقتراع.

تحذير لبيرتس

مسؤول كبير سابق في شعبة الاستخبارات العسكرية «أمان» يقترح على بيرتس الحذر من العادة التي هيمنت على شعبة الاستخبارات العسكرية في السنوات الأخيرة، باصدار تقييمات مفرطة لقدرات الخصم. في ظل هيمنة هيئة الاركان الضارة على صنع القرارات على المستوى الوطني، تحول هذا الميل الى أحد العراقيل الكبيرة في عملية صنع القرارات، وقد يقود الى تصعيد جديد في الساحة الفلسطينية، وربما حتى الى حروب في جبهات اخرى. في الأذرع الاستخبارية يوجد من يُحذرون من الجمود الفكري. بعض الضباط القلقين يوصون وزير الدفاع الجديد باجراء بحث جذري وتمحيص معمق للنظرية الخاطئة التي أملت السياسات المتبعة في الموضوع الفلسطيني في ظل موفاز، واعادة تأهيل وبناء آليات الرقابة المهنية التي توازن ذلك.

ضابط في الاحتياط يُحذر بيرتس من متلازمة حانوت الألعاب: المدني الذي يدخل الى وزارة الدفاع قد يتصرف مثل طفل يدخل الى حانوت للألعاب والدمى ولا يتمكن من ضبط إغراء الضغط على كل زر يقع في طريقه.

شتينبرغ يقول إن التهديد الايراني وتصاعد قوة الاخوان المسلمين والجهاد العالمي توفر ظروفا مريحة لبلورة محور براغماتي في المنطقة. «صراعنا تحول الى ثقب اسود للباب العالي الاسلامي. التسوية السياسية وحدها، حتى وإن كانت جزئية، والموازنة الصحيحة بين الاعتبارات الأمنية وبين الاحتياجات الأكثر اتساعا، هما القادرتان على تخليص الفلسطينيين من أيدي حماس وتخليصنا من حرب الديانات».

من المحادثات مع بيرتس ومن الأمور التي قالها في السياق لأبو مازن ولحسني مبارك، يمكن أن نفهم أن التنسيق الأمني مفضل في نظره على عمليات القصف، وأن المفاوضات حول التسوية الدائمة أفضل من الانسحاب أحادي الجانب. كل ذلك، كما أسلفنا، قابل للتطبيق قبل الدخول الى محل الألعاب سالف الذكر.

عكيفا الدار
المراسل السياسي للصحيفة
(هآرتس) 2006/4/28

اليهود كانوا سببا في توريط امريكا في العراق.. والآن سوف يورطونها في ايران

على اولمرت واسرائيل الاحتفاظ بعلاقة قوية مع بوش رغم ضعفه بسبب وجود خطر طهران وارهاب تنظيم القاعدة

ايهود اولمرت

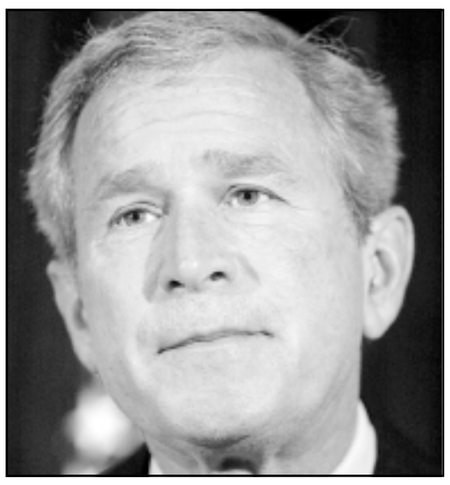

جورج بوش

■ في كل فترة من الزمن يظهر لنا أحد الحكماء ويتحدث شاجبا «التعلق» الاسرائيلي بأمريكا. مناحم بيغن كان احد هؤلاء الذين استدعى اليه السفير الامريكي ـ آنذاك ـ سام لويس وقال له تلك العبارة الغاضبة التي لا يمكن نسيانها «نحن لسنا اذنابا لكم». وامثال هذا الشكل من الغضب يثور ما بين حين وآخر على لسان احد السياسيين او المعلقين.

وقبل وقت ليس ببعيد انفجرت بالضحك حين قرأت في احدى صفحات الجرائد أن «اولمرت يصنع خيرا اذا لم يسرع بالسفر الى واشنطن» والتبرير لهذه الفضيحة، على الرغم من الاهمية الكبرى لواشنطن، فان توقيت الزيارة الان، وعلى ضوء ما يحدث في العراق، والشعبية التي تواصل هبوطها للرئيس بوش فان الزيارة ستبدو مشكوكا فيها. فبعد أن قام شارون بزيارة الرئيس بوش ثماني مرات، وحطم بذلك كل الارقام في عدد الزيارات التي سبق وان قام بها أي رئيس للوزراء في اسرائيل.. وفي أعقاب التفاهمات المتبادلة التي تم التوصل اليها بين الجانبين، فانا آمل ان لا يرفض وريثه (اولمرت) هذه النصائح وان لا يخرج للزيارة الى واشنطن فورا بعد الاعلان عن تشكيل الحكومة الجديدة.

وكأمر أولي، لا بد منه، هو واجب رئيس الوزراء اولمرت أن يرد على الرئيس بوش، وعلى غيره من الدبلوماسيين والمسؤولين الكبار والمحللين السياسيين والصحافيين، عن المعنى المحدد والملزم للعبارة التي يرددها اولمرت عن «خطة الانطواء»، ومعناها باللغة الانكليزية. فهل «الانطواء» بمعنى الانسحاب أحادي الجانب؟ أم هو بمعنى رسم الحدود من جانب واحد ومن دون مفاوضات مع أحد؟ وهل بمعنى أننا نحن (اسرائيل) هنا وحماس هناك؟.

وكأمر ثانٍ، فان اولمرت سيجد الفرصة المناسبة ليهمس في أذن الرئيس بوشٍ المعلومة التي باتت واجبة التفسير عن الانقلاب التاريخي في السياسة الاسرائيلية حول «التصفية النهائية» لما يُعرف بـ«الليكود» وإفراغه نهائيا من «حيروت» التي كانت المنظمة العسكرية القومية الاولى التي تأسس عليها. فالليكود التاريخي انتهى من العالم ومعه النظرية التي تقول بـ«ارض اسرائيل التاريخية الكاملة»، وأنه بدلا منه، يوجد الآن حزب مركز (وسط) جديد يترأس حكومة جديدة للتسوية ويحظى بأغلبية في الكنيست وفي الرأي العام الاسرائيلي.

والأمر الثالث هو أن على اولمرت أن يقدم نفسه وبرامجه الى الرئيس الامريكي، وعلى الرغم من أنه خلال عشرات السنين التي انشغل فيها بالسياسة الاسرائيلية، كان من أكثر المسؤولين السياسيين الاسرائيليين الذين كانوا يسافرون الى واشنطن، وأنه واحد من أكثرهم الذين تربطهم علاقات جيدة وحميمية مع كبار ذوي رؤوس الاموال الامريكيين، إلا أنه ـ ومنذ الآن ـ يجب أن يقف ويُعرِّف نفسه أمام اعضاء الكونغرس. ففي نهاية هذا العام ستجري انتخابات الكونغرس، لذلك لا بد من أن يُظهر الاهتمام اللازم، لأنه في حالة فقدان الرئيس بوش الأكثرية في الكونغرس سيستمر تأييد هذا الكونغرس لاسرائيل كما كان عليه الحال حتى الآن. هناك توجد القوة، والقدرات الكبيرة، وهناك تُعطى الضمانات والالتزامات وتُرتب الميزانيات التي يُقال بأن مستقبلنا متعلق بها، ومتعلق باستمرار التأييد الامريكي، وهذا لا علاقة له بالرئيس بقدر ما له علاقة بنوعية الكونغرس.

ومع ذلك، فانه حتى لو تمكن الديمقراطيون من احراز اغلبية في الكونغرس القادم، فان تراكم العلاقات الجيدة التي بُنيت حتى الآن مع الرئيس بوش سوف تبقى. ففي الانتخابات الرئاسية عام 2004 لم يصوت لصالح الرئيس بوش إلا 20 في المئة من اليهود في الولايات المتحدة، بينما صوت 80 في المئة من اليهود لصالح جون كيري. وهذا يعني أن اغلبية اليهود ضد بوش. ومع ذلك، فان هذه الحقيقة لم تُغير معاملته لاسرائيل. فالرئيس بوش، شخص مؤمن، وبالمعنى الديني للكلمة، وان تأييده لاسرائيل ينبع من ايمانه الديني الفعلي العميق. فقد نظر الى الانفصال الاسرائيلي عن غزة على أنه انجاز شخصي له، ولا يهم كم مرة اعرب عن رأيه بضرورة اجراء المفاوضات مع الطرف الاخر، الا ان استمرار تنفيذ عمليات الانفصال من جانب واحد سيعتبرها انجازا جيدا له ولسياسته. وليس من قبيل الصدفة ان واصل شارون القول بأن «الرئيس بوش» هو افضل صديق لاسرائيل منذ قيامها». فلماذا؟ وذلك لان كليهما رأى (وفهم) الارهاب الاسلامي على أنه الخطر الاكبر الذي يهدد العالم. وان بوش اطلق يد شارون بحرية ليفعل ما يشاء من اجل افشال العمليات الارهابية التي كانت بعض الخلايا الفلسطينية تخطط للقيام بها. هناك بعض الخبراء الذين يتخوفون من ان بوش اصبح حليفا استراتيجيا ضعيفا، ولكن ورغم كل حالة الضعف والتراجع، فانه ما زال الرئيس الامريكي وبالوظيفة الكاملة والقدرة على القرار لغاية شهر كانون الثاني (يناير) 2009 المقبل. وانه خلال هذه المدة المتبقية يستطيع ان يمد يد العون لاسرائيل بقدر كبير. فاذا وافق على منح اسرائيل رسالة (ضمانات) بخصوص الكتل الاستيطانية الكبيرة او لم يتمكن، فلا اهمية كبيرة لذلك. فالمهم هو أن يكون هناك تنسيق تام ـ حاليا ـ في الموضوع الايراني والارهاب لتنظيم القاعدة، لان الموضوعين هما الاكثر اهمية بالنسبة لاسرائيل الان.

إن تأييد دول العالم لاسرائيل منوط باستمرار تأييد الولايات المتحدة (بوش) لنا، ومن المهم جدا أن ترى ايران بأن الرئيس الامريكي ما زال يعانق اسرائيل ويحتضنها. وأن على اولمرت أن يواصل الحفاظ على كل ما تم الاتفاق عليه مع رئيس الوزراء شارون في واشنطن، وأن يحافظ على صورة السير جنبا الى جنب مع واشنطن، وأن لا يضر أحدهما بالآخر. ومع الأخذ بعين الاعتبار، الأهمية للبحث الذي نشره عدد من الاساتذة في جامعة هارفارد، والذي جاء فيه أن «اليهود كانوا سببا في توريط امريكا في العراق، والآن سوف يورطونها في ايران»، فان اولمرت سيجد نفسه «سائرا على البيض» في زيارته لواشنطن.

يوئيل ماركوس
كاتب دائم في الصحيفة
(هآرتس) 2006/4/28

الجنرال دان حلوتس يؤمن بتبعية الجيش للمدنيين.. وليس برقابة فوقية

الفشل الاكبر في تاريخ السياسة الاسرائيلية وهو الاعتقاد السائد انه على وزير الدفاع ان يكون رئيسا سابقا

عمير بيرتس

■ في مجلتين، كل واحدة فيها عشرات الصفحات كتبت كلها حول ما يدور في هيئة الاركان. ففي واحدة منها «ملف معطيات» الصادرة عن قسم التخطيط اشتملت على كل ما تجب معرفته عن تركيبة الجيش الاسرائيلي، تنظيمه وأهداف بناء قوته، وبالمقابل انشغل قسم العمليات بالتحضير والاستعداد لعملية جمع الاسرار اللازمة لاستخدام هذه القوة في مواقع مختلفة. ومع اجراء بحث خاص حول قسم المخابرات وكذلك التقرير الخاص بوزارة الدفاع عن الاعمال في الجانب المدني للمؤسسة، كل هذه الوثائق ستقدم لوزير الدفاع الجديد حين يدخل اليها.

فكلما ازدادت الدلائل على دخول عمير بيرتس الى مكتب وزير الدفاع خلال ايام، ثارت بين ارجاء وزارة الدفاع الاحاسيس والتنبؤات بإمكانيات الخسارة أو الربح.. فمن سيترفع ومن ستهبط مكانته، وبتحليق اسماء جنرالات كانوا قد أُبعدوا او من قويت فرصته ليعين رئيسا للاركان القادم، ومن المؤهل ليكون مديرا عاما ومن سيشغل المناصب المهمة الاخرى.

القصة الافضل التي راجت بين ارجاء وزارة الدفاع هي القصة الفجائية التي تتحدث عن العلاقات الحميمة الفجائية التي اخذت تشير الى تقرب كثيرين من ضباط هيئة الاركان للمقدم «حنانيا ترجمان» والذي يقال بأن شقيقته من المقربين جدا للوزير بيرتس. والمقدم حنانيا، هو ضابط رئيس ومسؤول، بل لانه كان من بين الضباط الكبار الذين اشرفوا على عملية الاخلاء في غوش قطيف او من الذين اشتركوا في الوفد الذي مثل القوى البشرية في بولندا، لكن نظرة خاصة تشير الى ان رقصة «الكعكة.. الكعكة» التي دارت حوله كانت مبالغا فيها. ورغم أن حنانيا يتحدث في بعض الاحيان مع بيرتس ـ واخرها كان اثناء عيد الفصح الا انه لم يستغل تلك اللقاءات مع وزير الدفاع القادم لاثارته او توجيهه.

في ظل هذه الزوبعة من الاستعدادات، والمناورات، والاشاعات، فان بيرتس ظل الواقعي الوحيد من بينهم جميعا. فقد امتنع بحذر عن البدء بجولة حوارات واحاديث في مسائل الامن، وذلك لكي لا يستبق الامور ولكي لا يضعف موقفه بسبب نقاش لم ينته بعد. لانه اذا بدأ يتصرف على أنه وزير الدفاع، وانه رفع علما ابيض امام اولمرت ورضي بما عرضه عليه وبذلك يثير اعضاء كتلة حزب العمل ضده، الذين لم يسبق لهم أن قالوا اثناء الحملة الانتخابية بأن بيرتس أهل لان يشكل حكومة جديدة والان اصبحوا يشككون بقدرته على أن يكون وزيرا للدفاع، او على الاكثر يمنحونه وصف القادر على (والمؤهل لـ) القيام بعمل محدود.

وبشرط أن يكون الى جانبه نائب يتمتع بالخبرة والقدرة. ويقال بأن «افرايم سنيه» يستطيع ان يمد يد العون ـ الان ـ للوزير بيرتس وذلك للتغلب على العقبة الكبيرة المعروفة «المناطق والسياسة..» وكذلك ايران والموضوع النووي، الا ان عملية الاجبار بأن يكون هناك نائب لوزير الدفاع لم تحظ حتى الان بما يعرف بـ«وجود سابقة».

ترشيح الجنرال عاموس مالكا

عشية اجراء الانتخابات التمهيدية في حزب العمل كان لدى بيرتس رجل مرشح لان يعينه وزيرا للدفاع، وهو رئيس جهاز الاستخبارات العسكرية السابق، الجنرال عاموس مالكا. وفي تلك الفترة كان بيرتس يبذل جهودا كبيرة للحصول على تأييد خارجي واسع، وكما اقدم على ترشيح افيشاي بروفمان لوزارة المالية فانه ـ ايضا ـ رشح بصورة واضحة الجنرال احتياط عاموس مالكا لوزارة الدفاع.. وقد تردد مالكا كثيرا فيما اذا كان يوافق على التخلي عن حياته كرجل اعمال والعودة للرهان على مغامرة سياسية، لكنه وافق تقريبا ثم تراجع، وان خبرته الاستخبارية اثبتت بان موقفه كان صائبا. فلو وافق نهائيا على وضع مفاتيح المنصب في جيبه، كما فعل «اوريال رايخمان» من حزب العمل لكان قد وصل هذا الاسبوع الى نفس المفترق الذي وصل اليه رايخمان. عمير بيرتس لم يكن يرغب في أن يكون وزيرا للدفاع، فقد رغب في أن يكون رئيسا للوزراء او وزيرا للمالية على الاقل. ولكنه مع ذلك، لم يرغب في ان يحصل احد غيره من حزبه على الوزارة الاكثر اهمية التي يمكن الحصول عليها.

لا يوجد أي حاسوب متطور يمكنه أن يجيب بكلمة عمير بيرتس لو انهم سألوه: من هو الشخص الافضل في اسرائيل الذي يمكن أن يكون وزير الدفاع في الدولة، ولكن، على عكس الدعاية التي يقوم بها المنتج، فقد تعطل ذلك الحاسوب، سيما بعد سنة ونصف من «حرد» ايهود باراك، وبعد أن اسهم موقف شاؤول موفاز الذي اثار الكل باقواله إن بيرتس لا يمكنه ان يكون وزيرا للدفاع مما أغضب الكثيرين. فلو لم يصر الجنرال يتسحاق مردخاي على ان يعين رئيسا للاركان، فان موفاز كان قد بقي كغيره من عشرات الجنرالات المغمورين وابعد كثير من جابي اوفير ويوم طوف ساميا. لكنه ـ وللحظ ـ فاز مرتين في ذلك الرهان (اللوتو؟)، الاولى رئيسا للاركان والثانية وزيرا للدفاع، ويبدو أنه كان يأمل الفوز مرة ثالثة، لكنه نسي ـ كما يبدو ـ شراء البطاقة قبل الدخول في المراهنة. تركة اريئيل شارون كانت متشوقة للانفصال عنه، وانه يمكننا تلخيص الموقف النهائي في موضوعه بان تجرأ بالقول «الخلاصة»: ان اولمرت اراد اقالته.. كما سبق له (موفاز) الاطاحة بالجنرال يعلون، والذي سبق له الاطاحة بالجنرال شموئيل زكاي.

اذا كانت لدى الجيش الاسرائيلي مقاييس للاحترام الذي يستحقه موفاز، فانها تشوهت كثيرا خلال الشهرين الاخيرين، وبالمقارنة، فان مسؤولية موفاز لم تكن في موقفه المزعج من موضوع بيرتس وقدرته على أن يكون الوزير المسؤول، ولم يكن من بين القلائل الذين قالوا ـ على الاقل ـ وماذا في ذلك، لكن الوزير القادم كان يصرخ بوجه كل من يقول بأن «الجيش يتبع للمدنيين» وانه يخضع للمراتب السياسية ـ المدنية المنتخبة. والجنرال حلوتس معروف عنه بانه كان من بين الذين يؤمنون بضرورة «تحديد وزن القيادة العسكرية» وثقلها في عملية صنع السياسة في الدولة، واذا كان الامر هكذا ـ فمن المؤكد ـ انه لا يجوز لقيادته (الجيش) ان يكون لها رأي، ورأي مؤثر حول الشخصية السياسية التي ستكون مسؤولة عن هذا الجيش.

ويقول عدد من الذين يشاركون في المداولات التي كان يعقدها الجنرال دان حلوتس بانه كان يصر على رأيه في موضوع «الحدود والصلاحيات» للجيش وانه لا بد من خضوعه تماما للمراتب السياسية الرسمية في الدولة، لكن، وفي نفس السياق هناك من يقول بان حلوتس كان يخفي بين طيات هذه العبارات كثيرا من التمهيد لوضع مستقبلي يفكر فيه ويريد ان يكون قد أرسى فكرة ورأيا واضحا بضرورة انصياع الجيش للرغبة والادارة السياسية من ناحية شخصية: فلا بد من اعادة الجيش الاسرائيلي لحجمه الطبيعي لكي يتمكن من ضبطه وقيادته عبر الجهة الثانية من الطاولة، وذلك حين يحين الوقت ويترك الجيش ويتم ترشيحه لمنصب وزير الدفاع، فسيكون قد مهد الطريق لسلطة تامة على الجيش باعتباره كان مناديا لذلك حين كان لا يزال لابسا البزة العسكرية.

المالكون.. الراعي والقطيع

هذه مقدمات لمستقبل العقد القادم، او على نحو اقرب، حتى الانتخابات القادمة اذا جرت في موعدها. فالمستوى القيادي في الجيش الاسرائيلي غارق الان في الخطرين الكبيرين اللذين يهددان اسرائيل، وهما: ايران والارهاب، او حسب وصف احد الضباط الكبار «الحرب المدمرة والمعركة المترصدة». رئيس شعبة العمليات، الجنرال جادي ايزنكوت، تحدث بانفعال حين شارك في المداولات الخاصة بموضوع حماس، حيث تحدث بعبارات ومصطلحات اكاديمية لم تتمكن من حل المشاكل التنفيذية التي تواجه المشكلة. ففي قيادة الجيش الاسرائيلي يواصلون البحث عن مركز الثقل في الخطيئة المثلثة ـ الخومينية ـ حماس ـ حزب الله، ويؤكدون أنه الى ان يتم حسم الامر مع ايران، فان الشركاء الصغار سيواصلون العمل ضد اسرائيل. والخوف الفعلي الفوري، والذي اكد وجود الانذارات الكثيرة السابقة بعد وقوع العملية الانتحارية في الجانب الاخر من معبر المنطار ـ كارني ـ وكذلك امكانية شن حزب الله هجوما في «جبل دوف» عشية عيد الاستقلال بعد ايام. وقد حاول الجيش الاسرائيلي العمل على نشر الهدوء على الجبهة الشمالية هذه الايام ولحرمان حزب الله من كل مبرر او سبب يعطيه الفرصة ليبرر هجوما له هناك.

فمرة كل شهرين، في المعدل، يستطلع وزير الدفاع الاوضاع، سواء من خلال المناظير في المواقع المتقدمة على الحدود (على الجبهات) او من خلال استعراض تمثيلي للاوضاع في مقر وزارة الدفاع. وعمير بيرتس ليست له تجربة في هذا الامر كما سلفه مناحيم بيغن او شمعون بيريس، كما أنه لا يستطيع أن يكون صاحب الصلاحية (الرتبة) العسكرية الاعلى فوق رئيس الاركان. والجنرال حلوتس كما يشهد على نفسه باعتباره قادما من سلاح الجو الى عالم ارضي، فانه يؤكد بانه لا حاجة لان يكون الراعي ذو خبرة تفصيلية في أنواع الاغنام، وانه يوافق على اساس هذا المنطق، حيث أنه سيستطيع المراقبة والاشراف على القطيع بواسطة الاشراف على الراعي فقط ودون الحاجة للمعرفة التفصيلية بأنواع القطيع الذي يرعاه. الفشل الذريع الاكبر في تاريخ اسرائيل تمثل في الفكرة التي سادت وتقول بأنه لا يمكن ان يكون وزير الدفاع ناجحا اذا لم يسبق له وان كان رئيسا للاركان في الجيش الاسرائيلي.

واضافة للمسؤولية المشتركة، سواء كانت للسيء او الجيد، فان المطلب المشترك والمتبادل لوزير الدفاع ورئيس الاركان هو الشفافية والاستقرار. فبمساعدة وجود مدير عام للوزارة، ورئيس هيئة اركان (والافضل ان يكون ذا خبرة سياسية ـ استراتيجية) وسكرتير عسكري (والافضل ان يكون من اوائل الوظائف والرتب التي لا تطمح بترفيعات تكون متعلقة برئيس الاركان الحالي او الذي سيليه) ووجود مستشار اعلامي ليمنع اطلاق النار من كلا الجانبين، يكونون أمناء له وحريصين عليه ويضمنون بأن لا يطعن في ظهره، فان من حق وزير الدفاع معرفة كل شيء، ولكن مع الابقاء على مساحة جيدة من الصلاحيات والقدرة على التوجيه واستخلاص العبر والدروس. التطلع الرئيس لاولئك الذين يخدمون في القوات النظامية هو الشعور بالامن في مكان عملهم، او في مجالات بديلة اذا تم حل اعمالهم. او ان ما يظهر «كنقص» عند بيرتس اثناء عمله في النقابات العمالية سيظهر على ان «التفوق» في وظيفته الحالية. فهو يستطيع ـ على سبيل المثال ـ اقناع العمال في احد خطوط الانتاج التي تقرر تقليصه، ولكنه لن يتمكن من اقناع العاملين في صنع «الركباه» لنقل المصنع من «تل هشومير» الى «سدروت» حتى وإن كان سيقيم بدلا منه ابراجا عالية سوف تسهم في حل كثير من المشاكل التي يعانون منها.

العيون تتجه الان الى الجيش الاسرائيلي، لكن العامل الاكثر اشكالية امام بيرتس هو وزارة الدفاع التي ترفض التجديد، حيث هدد (مؤخرا) العاملون فيه بتخريب حوسبة أجهزته خوفا من ان يكون تحديث وتقدم طرق العمل في الوزارة سببا في اقالة عدد منهم وتحويلهم الى عاطلين عن العمل. قد تتبدد التنبؤات التي تتحدث عن امكانية حدوث مواجهة بين بيرتس وحلوتس في موضوع الميزانية. ويقول كبار المسؤولين في هيئة الاركان بأن حلوتس سيوافق في نهاية الامر على خفض ميزانية الدفاع بصورة تدريجية بما يقدر بمليارين من الشواكل الى أن تصل الى 32 ملياراً، وذلك اذا كان هذا التوفير سيتم الحصول عليه من خلال الغاء استحواذي، والتعهد بانه في حال وصول هذا المعدل الى الصفر فانه سيظل في وظيفته للسنوات القادمة.

في يوم دراسي شهده كبار ضباط الجيش الاسرائيلي حول موضوع «اين كان الرب اثناء المحرقة» فاجأ حلوتس الحاضرين بقوله: انه لا يؤمن بوجود الرب، لان ظواهر ليس لها تفسير منطقي والتي تفرض بان يكون للقرد رأس لاسباب خلقية غير منظورة، تستحق الوقوف عندها دون تعمق في «لماذا وكيف حدثت، اذا واجهناها بقدرة وفكر جيد».

أمير اورن
كاتب في الصحيفة
(هآرتس) 2006/4/28